

الدرر الكامنة

للأستاذ محمد كرد علي

عضو مجمع اللغة العربية للسكر

طبعت عدة كتب في الطبقات والتراجم لأهل القرون الماضية في الإسلام ، والى الآن لم تطبع تراجم أهل القرن الثامن والتاسع والعاشر ، مع أن تراجمهم عُنيَ بها في القرن الثامن ابن حجر السقلاقي المصري المتوفى سنة ٨٥٢ ، ووضع تراجم أهل القرن التاسع السخاوي المصري المتوفى سنة ٩٠٢ ، وتراجم أهل القرن العاشر قام بتدوينها الفزّمي الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦١ وسمى الأول كتابه « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » ، والثاني « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » ، والثالث « الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة »

ومن لطف المولى أن هذه الكتب الثلاثة بقيت في الأرض وظفر بعمدة نسخ منها في خزائن الشرق والغرب ، لا كما كثرت تركه أسلافنا بعثت وأحرقت وأغرقت وأصابها كل خطب عظيم

لهم عين ، وهم ينظرون إلى رسول الحكمة ونبي الآلهة ينفذ رغبة (رع) في العدل والرحمة ، وتريث الكاهن قليلاً ، وهو يحرك شفثيه خاشعاً بشيء يشبه الصلاة ، فلما أتمها دفع المامل الشقي فجأة فنذف به على المنحدر الذي هوى عليه من قبل الرقيب القاسي ، وتحطم كما تحطم ذلك الرقيب من قبل

ونظر الكاهن إلى الجمع المهدق به وقال لهم كلمات خروفاً بعدها للأذقان سجداً ؛ ثم قاموا فأشار إليهم إشارة أخرى فانصرفوا وتبددوا كما يتبدد السحاب في الريح ، فها هي إلا لحظة حتى عادت السموط تنتظم ، وتجرر الأحجار نحو أعلى المنحدر مساعدة إلى قمة البناء الهائل لينبوا الفرعون قبراً جديراً بمجده

وكانت الشمس قد آذنت بالغييب ، وكنت قد امتلاً قلبي بما رأيت ، فقامت عن الصخرة التي كنت جالساً عليها ووضعت المرأة في جيبتي ، وجعلت أعزى نفسي عن وقع ما رأيت بأن أقول لها : « رويدك يا نفس ! فما زال الانسان هو الانسان »

محمد فرج أبو هريرة

ترجم صاحب الدرر الكامنة لألف وثلثمائة وثلاثة وأربعين رجلاً وامرأة ، تراجم اعتمد في وضعها على من سبقوه في هذا الشأن من رجال التاريخ ، أو كانوا ممن عاصرهم وسمع عنهم وأخذ منهم الحديث ، أو أخذ مشايخه عنهم . ويقلب على ابن حجر الحديث والعتابة برجاله ونسائه ، ولذلك ذكر عشرات من المحدثات ممن كن يروين الأحاديث النبوية ويروينها . وترجم لبعض المشهورين تراجم لا بأس بها . ترجم لابن تيمية ، ولسان الدين بن الخطيب ، والصلاح الصفدي ، وابن فضل الله العمري ، وابن كثير ، والبرزالي ، والذهبي ، وشيخ الربوة ، وأبي الفداء ، وابن المطهر الشيبلي ، وغازان ، وابن دقيق العيد ، والبدر البلقيني ، وابن الوكيل ، وابن سيد الناس ، وابن نباتة ، وابن الحاج ، وابن المكرم ، والشمس القونوي ، وابن الوردي ، وابن جماعة ، والتاج السبكي ، والتقي السبكي ، والأردبيلي ، وابن الأكفاني ، والخطيب القزويني ، وابن الزمكاني ، وأبي حيان الأندلسي ، والقطب الشيرازي ، والبازري ، والمزني ، وغيرهم

والى جانب هؤلاء تجد تراجم أناس من الخاملين كبعض المجازيب والموظفين والطلبة ، كأن لسان حال ابن حجر يقول : يجب ألا يحتقر أحد ، وأن يدون كل شيء . ولكن هذه الطبقة شغلت فراغاً من الكتاب على غير جدوى ومثلهم كثير في كل عصر ومصر ، لو تطلعت نفوسنا إلى التعرض لذكرهم للأنا منها قاطر ودفاتر ، والمقصود تدوين سير العظماء ممن كان لهم أثر محمود في علم وعمل . وفي نظرنا أن من أهم من دون المؤلف حياتهم بعد علماء الدين ورجال الأدب أناساً من أرباب الفناء والموسيقى والمهندسة والطب ، وبهم في الجملة عرفنا روح ذلك القرن ، قرن المالك في مصر والشام ، بل مبدأ قرون الانحطاط ومنتهى قرون الارتقاء في الاسلام

يقع القارى في هذا السفر على الروح الذي سرى في ذلك العصر إلى النفوس فلونها بلورات التعصب الذميم . وقد ذكرها المؤلف على الأكثر غير متعرض لجرح أو تعديل فيها . بيد أن القارى لمهدنا ، وقد وضع المؤلف أمامه هذه الوثيقة أو الوثائق التاريخية الكافية ، تهبي له أسباب الحكم على ذلك المجتمع الذي فاض بالجور السياسي والجور الفكري . فالجور السياسي غزوات

بالاهمال ، فهياً لطبعه صديق العلامة كرينكو أحد علماء المشرقيات من الألمان ، فطبعه في أربعة مجلدات في أكثر من ألقى صفحة معارضاً له على نسخ مهمة ، وذلك على يد مجلس دائرة المعارف النمانية في حيدر آباد الدكن من ممالك الهند . وقد اعتادت هذه الدار أن تطبع من كتب العرب كل مفيد ، فأحيت كتباً في الحديث والفقه والأصول واللغة والأدب والتاريخ والفنون ، ونشرت حتى الآن نحو ثمانين كتاباً منها ما دخل في بضعة مجلدات ضخمة ، ومما طبعت لابن حجر مؤلفنا الذي نحن بصدد الكلام على كتابه « لسان الميزان » و « تهذيب التهذيب » و « تعجيل النعمة في رجال الأئمة الأربعة » الخ

هذا ولا يسعنا إلا أن ننوه بالناشر الثيور على العلم ، وقد رأينا جود معارضة النسخ وإثبات الصحيح من النصوص على عادة علماء المشرقيات في تدقيقهم إذا أرادوا طبع كتب العرب ؛ وكلم لهم من أياد بيضاء قليلاً لا ينكرها الا منكر الجليل وغامط العارفة . وحذا لو شفع الناشر هذا الكتاب الجليل بالفهارس المنوعة التي تسهل على العلماء الأخذ منه ، فإن كتاباً بلا فهرس تقل فائدته إذا كان من كتب المراجع ؛ وعلت أن الناشر وضع الفهارس والطابع تأخر في طبعها ، وما أدري ما اعتذاره

وقد نشر السيد سالم الكرينكوى - كما دعا نفسه - كتاب التيجان لوهب بن منبه ، وأخبار اليمن لعبيد بن شربة ، وحاسة ابن الشجرى ، أنكلم عليهما في فرصة أخرى وأكتفى هنا بشكره ، وأن أوجه نظره إلى كتاب آخر لابن حجر لا يقل عن الدرر الكامنة في الفائدة ، وهو « إنباء النعم في أبناء العمر » وفي الخزانة الظاهرية بدمشق مسودة هذا المخطوط بخط مؤلفه ، وهو تمليق كما قال فيه جمع فيه حوادث الزمان منذ مولده سنة ثلاث وسبعمين وسبعمائة ، وهلم جرا مفصلاً في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان ، مستوعباً لرواة الحديث خصوصاً من لقيه أو أجاز له . وقد امتد هذا الكتاب إلى سنة خمسين وثمانمائة ، وجاء من ذيل عليه ، كما جاء من اختصر له الدرر مثل ابن المبرد وجمال الدين السيوطى الذى عرف بالولوع باختصار الكتب

القاهرة

محمد كرد على

الططر (التتر) من الشرق على الديار الشامية ، أى الجزء المتم للمملكة المصرية إذ ذاك ، وغزوة بمض شموب الأفرنج بعض السواحل المصرية حتى افتحصها أحد الجورة من المهالك فرصة ليصادر التصارى في مصر ويستصفي ما في بعض كنائسهم من الجواهر والمادن الكريمة أو يخرّبها حباً في التخريب وإبلاغاً في النكابة على زعمه . هذا هو الجور السياسى . أما الجور الفكرى فتحامل الموسومين بالدين على من يبت منهم بعض نزعات قيل إنها مخالفة للشريعة فكان جزاؤهم القتل . وما نظن أكثر تلك التهم مما يصح أن يتهم به صاحبه من أنه جنى بما قال على الدين إذا تدبرنا ما لاقاه شيخ الاسلام ابن تيمية من متمصبة العلماء في عصره في مصر والشام ، وهو النابغة الذى عمقت القرون عن أن تلد أمثاله بمله وعقله وإخلاصه على ما دون ذلك ابن حجر في هذا الكتاب . فكانت ترجمته له أحسن ترجمة فيه لأول عالم نبغ في أول القرن

ثم إن من نظر في كتب التأخرين وكتب المتقدمين يجد فروقاً كثيرة بين الأولى والثانية : فروقاً في الأسلوب وفي المكتوب ؛ وهل التاريخ إلا مرآة العصر الذى يكتب فيه ، وروح صاحبه الذى يملئ به ؟ وما كان لابن حجر أن يكتب في التراجم ويجود بإجادة ابن خلكان في وفيات الأعيان مثلاً ، ولا للسيوطى في مؤلفاته التاريخية أن يجود بجويد الكندى صاحب كتاب ولاية مصر وقضائها ؛ وهكذا قل في الزمن الذى بدأت فيه الشروح والحواشى في الكتب الدينية ، وصار من يسلخ من كلام غيره أو يسخه وينسخه يمد مؤلفاً فيزيد عدد الأسفار المحفوظة في الخزائن على غير قائدة جليلة

تمت في سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) في مجلة المقتبس ، وقد درست هذا الكتاب في نسخة خطها أنامل ابراهيم البقاعى أحد أعلام عصره - الذى قال في نسخته : وكان فراغى من هذه في ١٧ شوال سنة ٨٥٩ بئرلى بحارة بهاء الدين في القاهرة - تميت لو يقوم رجل منا فيطبع هذا الكتاب ، وقلت يومئذ لو لم يكن في هذا الكتاب سوى ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية ، لكان كافياً في طبعه ؛ ولكن قوى شغلهم الشواغل ، وأصيبوا